2024 آب مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 6A
August. 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 6A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

الصورة القرآنية في ديوان ابن حمديس الصقلي

م .م رجاء حسين علي
مديرية تربية ميسان
Rajaamhf94@gmail.com

الملخص:

شكل القرآن الكريم المعين الذي لا ينضب عند اغلب الكتاب والشعراء ولايزال الأدباء ينهلون من اللفاظة وصوره ومعانيه فالتصوير القرآني هو تصوير باللون والحركة ، وقد عرض لنا الكتاب الكريم أروع الصور وأجملها وأكثرها قدرةً على التأثير في المتلقي، فهو يجمع في تعبيره بين الجانب الديني والجانب الجمالي فبدت آياته المباركة لوحات تصويرية شاخصة بإشكالها الحية وهيئاتها التي تموج بالحركة وابن حمديس استلهم في ديوانه بعضاً من الصور القرآنية المباركة ليضفي لأبياته الجمال وروعة التعبير ويقف البحث على أهم الشواهد الشعرية التي وظف فيها ابن حمديس الصور القرآنية الكريمة وكيفية حضور هذه النصوص القرآنية ودوها في أنعاش النص الشعري وتوجيهه سواء أكان هذا الحضور للآيات المباركة بلفظ مباشر كما جاء بالقران الكريم أو بشكل غير مباشر.

الكلمات المفتاحية: صورة ، ابن حمديس ، ديوان ، الصورة القرآنية .

The Quranic Image in the Diwan of Ibn Hamdis al-Siqilli

A.L Raja Hussein Ali
Maysan Education Directorate

Summary

The specific form of the HOLY QURAN that doesn't end for most of the writers and poets , the writers are still take from its words, images and meanings, the quran dsecription is describing with the colour and motion. The holy book show us the most brilliant and beautiful images, and agreat ability to effect the recipient . Its effection combines between the religious side and the aesthetic side, so its blessing verses seemed to be scenic picture standing by its living forms and its shapes that shedes with motion. Ibn Hamids said in his divan some of the Quran images to put beauty and brillians of expression on his verses, and the research stands on the more important poetic texts which Ibn Hamids used the holy quran pictures and the presence of those Quran texts and its role in refreshing the poetic text and directing it wheather this presence was for the holy verses in a direct pronunciation as it came in the holy Quran or in indirect pronunciation.

Keywords : pictures , divan , Ibn Hamids , Quran images.

المقدمة:

لقد تأثر العرب بالقران الكريم منذ نزوله واخذو يفسرون الفاظة ومعانيه ووقفوا متعجبين من صوره التي تبدو وكأنها حية، وقد أقبل الشعراء منذ أن نزل القران الكريم لينهلوا من معينه الخصب كما إن للفضاءات الدلالية والأبعاد الروحية للقرآن الكريم ،مفردات ، وتراكيب، وقصص ،وشخوص ،ومشاهد ، كانت دافع لهم للإقبال عليه والتناص معه والاقتباس منه واستثمار معطياتها الدلالية والجمالية والروحية بما تشكله النصوص القرآنية من عمق تأثيري وبعد إيحائي وامتداد حضاري فيبلغ الأدباء بمعانيها مبلغاً لا يكون لهم لو لم يتناص مع القرآن الكريم، ولقد كان النص القرآني والصورة القرآنية حاضرة ولها دور كبير وفعال في ديوان ابن حمديس الصقلي بالإضافة إلى القصص القرآنية التي أشار إليها الشاعر في عدة

مواضع في ديوانه كقصص موسى وادم وداوود...الخ فقد تأثر الشاعر بالكتاب الكريم وإعجازه وأسلوبه البياني الرائع، والذي أبهر العرب وحتى المشركين منهم قال الوليد بن المغيرة وهو أحد المشركين "...إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وأسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه "[1]، فقد ظل القرآن الكريم ميداناً فسيحاً للأدباء ينهلون منه بحسب صلتهم به وفهمهم أسراره ومعانيه ِويستحضرون صوره في نتاجهم الأدبي لما يضفيه لهم من قوة ودقة وبراعة تصوير وجوده معنى .

ويشتمل البحث على مقدمة وخاتمة ومبحثين تناولت الباحثة في المبحث الأول:

1- التعريف بالشاعر ابن حمديس الصقلي ونشأته

2- بيان مفهوم الصورة في اللغة والاصطلاح

اما المبحث الثاني فكان دراسة تطبيقية عن الصور القرآنية في ديوان ابن حمديس الصقلي .

المبحث الأول:

ولابد من تسليط الضوء ولو بشيء بسيط عن الشاعر موضوع الدراسة فهو " أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الأزدي الصقلي ولد سنة (447ه) من أصل عربي أزدي ... وصقلية بفتح الصاد المهملة والقاف بعدها جزيرة في بحر المغرب بالقرب من أفريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة أربع وستين وأربعمائة "[2] والى هذه الجزيرة ينتسب الشاعر "وقد امتازت صقلية بطبيعتها الفنية وودیانها الخصبة وأنهارها الجارية وأثارت في نفوس سكانها منذ القدم التغني بحياتها الريفية "[3] و "قد شهدت صقلية أيام الحكم العربي و النورماني نشاطاً واسعاً في الأدب والعلوم واجتذبت إليها مهاجرين من علماء أفريقيا ومصر والأندلس وشعرائها ...ونحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلمية والأدبية لسرقوسة ولكننا نتصور إن عبد الجبار وجد فيها من غير ريب ثقافته الأدبية الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه ، فالشاعر من عائلة محافظة فيها وتر قوي من التدين ، ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمية .....ولاريب في أن هذه الثقافة زادت مع الأيام وشملت فروعاً أخرى من المعرفة فيه العروض والنحو والتأريخ ...الخ [4].

مفهوم الصورة القرآنية:

لقد حفل الشعر العربي منذ القدم بالصور الشعرية المختلفة ولابد لنا من الوقوف على مفهوم الصورة في اللغة والاصطلاح.

الصورة لغة: صُورٌ وصِورٌ وصُوْرٌ وقد صوّرةُ فتَصوّر، وتصورتُ الشيءَ ، توهّمتُ صورته فتصوَّر لي، والصورة تَردُ في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يُقال صورة الفعلِ كذا وكذا ، أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته[5]

والصُّورة: بالضم: الجمعُ صُورٌ وصِورٌ بمعنى النوع والصِفةِ [6].

الصورة اصطلاحاً:

ما من دارس للصورة إ لا وقف عند قول الجاحظ التي قال فيها :" وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير "[7] فقد أوضح الجاحظ المعايير التي ينبغي توفرها في الشعر ،وهي" طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجه الدلالة ، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ،ولكن أيّا كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير ، فإن الصورة لن تغيّر من طبيعة المعنى في ذاته ،إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه ، وكيفية تقدمه"[8].

ويرى الدكتور مصطفى ناصف إن الصورة تستعمل عادة " للدلالة على كلّ ماله صلة بالتعبير الحسّي ، وتُطلق أحياناً ، مرادفة للاستعمال الاستعاري[9]

"وهي مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون "[10]

فالصورة هي وسيلة الشاعر في نقل فكرته وتجربته الشعرية والقرآن الكريم رسم أجمل الصور وأروعها التي أثرت في الناس وأبهرت المتلقي فهي شديدة الدقة، واضحة المعاني، جزلة اللفظ.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية عن الصورة في ديوان ابن حمديس

شكل القرآن الكريم رافداً مهما من روافد ثقافة الشاعر الأندلسي فالأندلسيون قد أولو اهتماما بتراثهم الثقافي الإسلامي ومن أهمه القران الكريم والحديث النبوي الشريف فضلاً عن تأثرهم بالأدب والتأريخ .

فقد كان للقرآن الكريم حضوراً قوياً في ديوان الصقلي فهو الكتاب الخالد الذي جمع بين غزارة المعنى وإحكامه ورصانة اللفظ وفصاحته، وبراعة النظم التي بلغت حد الإعجاز وروعة التناسق الفني فكان الرافد الأول الذي استقى منه الشاعر الأندلسي، " وما تميز بها القرآن الكريم من خلوه من التعقيد وسهولة فهم المعاني المتسمة بحسن التأليف ، وجمال التنسيق ، وعلى هذا يذهل المتلقي ويوقظ ذهنه "[11]

قال ابن حمديس في مدح الأمير أبا الحسن بن علي بن يحيى

صادتك مهاة لم تصد فلواحظها شرك الأسد

من توحي السحر بناظرة لا تنفث منه في العقد[12]

يقوم النص على التشبيهات الجميلة فعيون الجميلات هن كعيون المها وهذا التشبيه كثر وروده في الأدب العربي فطالما يشبه الشعراء العيون الجميلة بعيون المها، ولواحظهن كشراك الأسد ونظراتهن كالسحر ، فقد استحضر الشاعر النص القرآني في قوله تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [13]وهذا الحضور للنص القرآني يبين لنا صلة الشاعر بموروثه الديني والاتكاء عليه والاستفادة منه " لأن الفاظه سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات، سلسةٌ على الأسلات ،كل منها كالماء في السلاسة ، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرقة "[14]، وهذا الاتكاء على الموروث الديني والأدبي للشاعر يشير تمسك الشاعر بمرجعياته الثقافية والدينية.

وقال أيضا:

ظمآن يستقي أُجاج دموعهِ من عارضِ البرد الشيبِ زلالا [15]

وقوله في موضع أخر:

أما يخجل البحر الأجاج حلوله ببحرٍ فراتٍ ما للجته عبر [16]

وأيضا: وأجاجُ الماء بكثرته لاريّ به لغليلِ صد [17]

فقد استحضر الشاعر أكثر من نص قرآني وهو قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [18] وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [19] الشاعر الأندلسي تأثر شأنه شأن أسلافه بالقران الكريم وتسرب في نفسه فأخذ يوظف بعضا من معانيه وألفاظه وصوره وذلك لما يحويه من حلاوة المعاني وقوة المباني المؤثرة بفصاحتها وبلاغتها وإعجازها الظاهر عن مجاراتها منذ نزوله إلى يومنا هذا، وهذا الإعجاز يتراءى في اتساقه وفي التقديم والتأخير وفي الذكر والحذف ،وأساليب الاستفهام والفواصل وغيرها [20] وخير ما يستحضر لإبراز الخصال الحسنة صور قرآنية جزلة قوية المعنى مؤدية الغرض بسلاسة فقد كثف المعني فجمع بين نصين قرآنيين وخرج بهما الى معنى الغزل في

البيت الأول فدموع المحبوب كالمطر وشبه مذاق هذه الدموع بالزلال أو الفرات وهذه صورة مبتدعه اعتمد الشاعر فيها كلياً على صور القرآن الكريم وصاغها بطريقة تناسب غرضه الشعري ، والبيت الثاني للإشارة إلى كرم الممدوح وكثرة عطاياه فهو يشبهه بالبحر العذب في كثرة العطاء والجود ، إما البيت الثالث يشير على إن الماء المالح على كثرته لم يستطع إرواء عطشان ،فقد وظف الشاعر الصور القرآنية وجعلها ركيزة مهمة في البيت الشعري ليضفي عليه القوة في التعبير والرصانة في الأسلوب وجودة المعنى الذي أراد صياغته فاعتمد على صور قرآنية غاية في الجمال فصاغها صياغة مبدع وانتج أبياتا رائعة مستقي من الكتاب الخالد جل ألفاظها ومعانيها وصورها.

وقال يصف الصيد:

وليلةٍ حالكة الإزارِ

مَدّتْ جناحاً كسوادِ القارِ

يحجُبُ عنّا غُرّةَ النّهار

عَقرت فيها الهم بالعقار

كالجمر بين الهُدبِ والأشفارِ

تكادُ ترمي الصيد بالشرارِ [21]

قوله تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [22] ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [23] اكثر شاعرنا استدعاء آيات الذكر الحكيم وأخذ من معانيه وصوره ووظفها في شعره ، ليضفي عليه القوة والبراعة في التعبير ، فقد استحضر النصوص بطريقة غير مباشرة (محوره) بما لا ينافي اصلها ، وأراد الشاعر التعبير عن جمال عين محبوبته فشبهها بالنار وانها مع احمرار شفاهها بالنار والشرار المتطاير منها، فهو يحور الصورة بما يناسب نصه ويعيد إنتاجه بصورة أدبية فنية عالية الجودة.

وقال:

فأن تك لي في المشرفي مآرب فكم في عصا موسى له من مآرب[24]

وقال: كأن عصا موسى النبي ضربها تُريك من الإظلام مُنفلق البحرِ

كأن عمودَ الصبح يبدي ضياؤه لعينيك ما في وجهِ يحيى من البشر[25]

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [26]

وقد كان للقص القرآني حضوراً في ديوان الشاعر فقد تأثر ابن حمديس بالقصص القرآنية المباركة "فالقصة القرآنية امتازت بالتعبير القرآني الذي يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية "[27]

ومن هذه القصص التي وظفها قصة النبي موسى (عليه السلام) "وهي أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم"[28]فقد ذكر الشاعر معجزة النبي موسى (عليه السلام) إذا انقلبت العصا التي كانت بيده إلى أفعى أكلت الأفاعي الصغيرة التي ألقاها السحرة فما كان منهم إلا أن يؤمنوا فذكر الشاعر هذه القصة في أكثر من بيت شعري ووظفها بشيء من الإيجاز الذي يغني عن التفصيل والأطناب، فدلالة عند القدماء تأخذ أكثر من بعد ، فمن أداة للحراسة أو سلاح ،إلى مؤثر للعلم استعمالاً أو أداة عقاب على الذنب ، ولكنها جاءت مع موسى معجزة ربانيةً ورمزاً للعلم، ومؤشراً لعلم موسى وأداة لمآرب أخرى[29]، فالشاعر يعيد

إنتاج النص وصوغه من جديد معتمداً على التعبير القرآني ، فشبه السيف بعصا موسى (عليه السلام) التي كتب لها النصر العظيم على السحرة فكذلك سيف الأمير حقق النصر .

وقال يرثي عمته:

بكأسِ أبينا آدمٍ شُرْبُنا الّذي تضَمَّن سُكرَ الموْت يا لك من شرْب

...وعصمٌ إذا استعصمن في شاهق رَقتْ إليها بنات الدّهرِ في المرتقى الصعب[30]

ومن القصص التي أشار إليها شاعرنا قصة النبي ادم (عليه السلام) وانه ذاق المرار بعد فقد عمته وقد أشار بإيجاز الى قصة النبي ادم فقد ضمنها في البيت والمتلقي لابد أن يعرف قصة النبي ادم(عليه السلام)ليفهم ما أراد الشاعر وما قصد ، ،وقصة النبي نوح (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [31] فقد وظف الشاعر قصة ابن النبي نوح الذي أوى الى الجبل ، وصاغ الشاعر هذه القصة بحسب ما يراه مناسب لشعره ليشحنه بالطاقة الدلالية والروحية " والقصص القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد؛ بل كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القران الكثيرة في تحقيق هدفه الأصيل فالقران كتاب دعوة قبل كل شيء والقصة إحدى وسائلة لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها"[32]

وقد ذكر الشاعر شخصيات من القرآن الكريم ومن ذلك قوله :

وقد لبسوا من نسجِ داوود أعينا مداخلةً خصوصاً هي الحلقُ السرد[33]

فقد ذكر النبي داوود (عليه السلام) وهو الذي يصنع من الحديد ما يشاء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾[34]، فقد شكلت القصة القرآنية محور البيت الشعري ، فقد أسعفت معرفة الشاعر بالقران الكريم وقصصه وشخوصه فآخذ يحور القصص ويوظفها توظيفاً جديداً ليبعث في نصه المتانة وجودة التعبير .

وذكر النبي سليمان (عليه السلام):

كأن سليمان بن داوود لم تُبحْ مخالفته للجنّ في شيدة مَهلا[35]

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[36]وهذا التداخل بين النص القرآني والنص الشعري قد عبر أيما تعبير عن سعة ثقافة الشاعر القرآنية ،ومدت هذه القصة المباركة النص بألوان من الشحنات الدلالية والتي ميزت النص وأعطته صورة فريدة .

هن الحسان وحربها الهجرُ فذاك يجبُنُ عندها الذّمرُ[37]

يتداخل البيت مع الآية المباركة ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [38]، فقد استدعى النص القرآني بصورة غير مباشرة ، فهذا التداخل النصي بين الخطاب الشعري والخطاب القرآني جعل الشاعر يُحقق إنتاجية تناصيه قادرة على التأثير في المتلقي ، فهو يصف ذلك الحسن الذي يشبهه بحن حور العين فلاحد يستطيع مقاومة ذلك الحسن الخيالي .

وقال يصف رمداً أصابه:

تنُفجرُ الماءَ منها كلما وَ ضَعتْ لهجعته منهما ناراً على نارِ[39]

قد تماثل نص الشاعر مع الآية المباركة ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ﴾ [40]، غير انه قلب المعني لصياغة معنى جديد ،وقوله تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ

لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [41] ،فقد اخذ الشاعر معنى النار التي يوقدها الزيت والذي يخرج لدلالة الإضاءة ، فضلاً عن أن هذا الزيت المضيء من دون تمسه النار، أفاد الشاعر من دلالة الإضاءة في الزيت ليصف بها حبيبته وهجعتها .

إن حُسن الثناءِ بعدك يبقى لك بالذكرِ منه عيشٌ مُكرَّرْ [42]

فقد اقتبس الشاعر من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [43] ، وهذه الآية المباركة تتحدث عن النبي إبراهيم (عليه السلام)الذي جعل له الذكر الحسن بين الناس وقد احسن الشاعر توظيف المعنى ليبالغ في مدح صاحبه .

فالحمد للهِ مجري النورِ من غسقٍ وجاعل الليل في تلطيف أحجارِ [44]

يتداخل النص مع قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[45]

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[46]

فقد استدعى الشاعر المعاني والصور القرآنية من غير تغيير فيها بل ادخلها كما هي في نصه ولاشك في إنها ساهمت في ارتقاء الشعر، فقد اهتدى الشاعر في ضوء تأثره بالقران الكريم أن جل أبياته تُرصن بألفاظ القران الكريم وأسلوبه وصوره وتزداد بذلك قوة وإيحاء .

ومن أقواله : من كانَ عنهُ يدافعُ القدرُ لم يُردِهِ جنٌّ ولا بشرُ

رفعوا عُيونهمُ إلى قمرٍ فَرماهُمُ بُرجُومهِ القمر [47]

ونظم الشاعر هذه القصيدة يصف القصة التي أراد الثلاثة النفر فيها غدره فأنجاه الله تعالى منهم، وجرح الشريف علي بن أحمد الفهري ووزيره، ثم توفي بعد ذلك ،وعوجل القوم بالقتل فقتلوا وصلبوا بزويلة[48]

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ [49]

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [50]

يعيد الشاعر صياغة المعنى القرآني ويعيد إنتاجه استعمل الاستعارة التي خرجت للتجسيم فالقدر وهو المعنوي جعل له القابلية من الدفاع عن ممدوحة ، فتأثر الشاعر الأندلسي بالكتاب الحكيم بحيث طغى على اغلب الفاظه وتراكيبه الأمر الذي جعل أبياته على درجة رفيعة من الرصانة والتماسك فضلاً عن قوة المعاني وخدمة مضمون البيت الشعري .

ومن شعره:

كفىَ سيفكَ الإسلامَ عاديةَ الكُفرِ وَصُلْتَ على العادينَ بالعزّ والنصر

وأصبحَ قولُ المبطلين مكذّباً ومدّ لكَ الرّحمنُ في أمدِ العُمر [51]

وهذه من الأبيات التي وظف فيها الشاعر اكثر من آية قرآنية لغرض إثراء المعنى الذي أراد الشاعر إبرازه وتصويره، يتداخل النص مع قوله تعالى ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[52]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[53]، لقد جاء التداخل مع القرآن الكريم واستحضار صوره ومعانيه -عند الشاعر-جلياً خصباً ومتنوعاً بما في ذلك الآيات والقصص والشخصيات القرآنية ، وهذا دليل على سعة ثقافة الشاعر القرآنية وتكشف عن براعته في توظيف نصوصه المباركة .

وقال في الزهد:

وغرّتك دنْياك إذ فوّضت إليك أمانيها الكاذبة [54]

يستقي الشاعر من قوله (عز وجل): ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[55]، اخذ الشاعر الآية الكريمة من سياقها وأضافها في سياق قصيدته لتنتج دلالة غاية في الجمال والقوة وتحقق فائد ة للمتلقي وتكشف عن قدرة الشاعر وتمكنه من توظيف الصور القرآنية في نصوصه بتفوق وتميز لامثيل له .

وقال يصف عقربا:

وتالٍ من القرآن (قل لن يصيبنا) وقد حان من زُهرِ النجوم غروبها[56]

قوله تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[57]، أتاحت ثقافة الشاعر له إن يستحضر الآيات المباركة ويجعلها في سياق نصه كما هي من غير تحوير أو تحريف بها لتدعم النص وتضيف آليه المتانة ، وهذا يسمى بالاستحضار المباشر وهو أن يقوم الكاتب باستحضار بعض آيات القران الكريم عبر اللفظ والمعاني القرآنية وإيراده بشكل مباشر في النص من غير تغيير فيها[58].

وقال يمدح المعتمد:

كأن شُهبَ رجومٍ في أسنته يَرْدى بها من طغاةِ الكفر من وردا[59]

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[60]

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [61]فالشاعر لا يكتفي بالاستحضار المباشر للآيات القرآنية أنما يعمد إلى استحضار الآيات ويحورها ليجعلها تتناسب مع سياق شعره وتمنحه الدلالة التي أراد ،ولعل هذا الاستدعاء المكين قد مكن الشاعر من صنع روابط أو جسور دلالية عبر أسلوبه وقوة بنائه والتحام هذا البناء بالبنية القرآنية التي منحته القدرة على هذا التشكيل .

وقال في رثاء علي بن حمدون الصنهاجي

يُثنى النهار به على أعقابهِ حتى كأن الشمس فيه تُكوَّر[62]

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[63]

وقال تنهدتُ مرتاعَ الفؤادِ وإنما تنهدتُ للصبح الذي يتنفسّ[64]

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[65]،

فجدّدت ما أبلى، وأثبتّ ما نفى وأدنيتَ من أقصى، وأضحكت من أبكى [66]

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[67]

ولشدة تأثر المبدع بالقرآن الكريم نراه يُكثر الرجوع اليه وإدخاله في بنية نصة ، فالقرآن تميزَّ بتناسقه الفني في تصوير المشاهد التي جاء بها ومن ذلك التنسيق في الكتاب العزيز يتمثل بتآلف العبارات واختيار الألفاظ ، ونظمها مما يجعلها غاية في الروعة ، وقمة في الفصاحة، فضلاً عما تميز به الكتاب الكريم من جمال الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيير الألفاظ ولأثرها في بناء النص القرآني الفني[68] .

ومن أبياته:

نفخ الدجى لما رآه ميتاً فيه مكانَ الروح ريحاً صرصرا[69]

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾[70]

فالقرآن مثل مصدر الهام للشاعر يستلهم نصوصه دلالة وتصويراً، مستثمراً طاقته الإبداعية في الوصل بين تجاربه الذاتية ونصوصه ، فوجد ضالته فيه بوصفه نصاً مقدساً يحمل للإنسان دلالاتٍ لامتناهية شديدة العمق والتأثير في كل ما يعرض له من تجارب ، لأن أفكاره ومعانيه قابلة لإعادة التشكيل في كلّ زمان ومكان [71]، ومن خلال دراستنا للديوان يتبين لنا عمق الصلة بين الشاعر ومرجعيته القرآنية والتي بدت واضحة في ديوانه.

الخاتمة:

بدا تأثر ابن حمديس الصقلي واضحاً بالقران الكريم فهو الكتاب المعجز والرافد الأكبر لأغلب الشعراء بما تميز به الكتاب العزيز من خصائص فريدة، فقد اعتمد شاعرنا على آيات الذكر الحكيم بصورة مباشرة تارة يورد الآية في نصه من غير تغيير أو تلاعب بألفاظها وتارة أخرى يحور النص القرآني للاستفادة من معانيه او صوره من صوره داخل نصه ليثريه ويضفي عليه المتانة والقوة وذكر أيضا في ديوانه القصص القرآني ومل من دور في إثراء معناه الشعري ، ومن خلال ما تقدم يتبين لنا سعة ثقافة الشاعر الدينية وتأثره بها وتوظيفها في نصوصه، وتعد الصورة القرآنية من أهم الصور التي كانت حاضرة وبكثرة في ديوان الشاعر .

الهوامش:

1) أسباب النزول، تصنيف أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تأليف أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر.
2) وفيات الأعيان، ابن خلكان: 13/ 42، 414
3) ديوان ابن حمديس: 183
4) المصدر نفسه:2-4
5) لسان العرب: 473/4
6) القاموس المحيط: 427
7) الحيوان الجاحظ: 131/3
8) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر احمد عصفور، للطباعة 392.
9) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ، 3.
10) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، ، 37.
11) ينظر: الصورة الأدبية في القران الكريم، صلاح الدين عبدالتواب، ، 13-14.
12) الديوان :158
13) الفلق/ 4
14) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، ، 347.
15) الديوان: 386
16) ديوانه :242
17) الديوان :162
18) الفرقان / 53
19) الأحقاف/ 24
20) ينظر: فنون النثر الأدبي في أثار لسان الدين بن الخطيب -المضامين والخصائص الأسلوبية -محمد مسعود جبران، ، 252/2.
21) ديوانه: 188، 190
22) النور/ 40
23) المرسلات/ 32
24) الديوان:29

25) المصدر نفسه: 215
26) الأعراف /117
27) التصوير الفني في القران ، سيد قطب، 143
28) المصدر نفسه :143
29) ينظر: الشخصية في القصص القرآني، خالد سليمان، ، 76.
30) ديوانه: 34-35
31) هود /44
32) الصورة الأدبية في القرآن الكريم :91
33) ديوانه :174
34) سبا /10
35) ديوانه: 379
36 سبا /12
37) الديوان :199
38) الرحمن/ 70
39) ديوانه :202
40) البقرة/ 74
41) النور /35
42) الديوان :204
43) مريم:50
44)الديوان: 202
45) الإنعام 96
46) الاسراء78
47) الديوان 218-219
48) ينظر: الديوان :218
49) آل عمران/ 145
50) الملك/ 5
51) الديوان: 224
52) الحج /40
53) الإسراء /81
54) ديوانه :40
55) الأعراف /51
56) ديوانه :43
57) التوبة /51
58) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، 259/1
59) ديوانه/ 170
60) الصافات /10
61) الملك/ 5
62) ديوانه: 195
63) التكوير/ 1
64) ديوانه: 277
65) التكوير/ 19
66) ديوانه: 347

67) النجم /43
68) ينظر: التصوير الفني في القرآن،87
69) الديوان: 233
70) فصلت/16
71) ينظر: المنهج القرآني في الإعجاز العلمي، د.رعد شمس الدين الكيلاني، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية العدد28، 2008م

المصادر:

- القران الكريم
- أسباب النزول، تصنيف أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تأليف أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر، عالم الكتب -بيروت، (د.ت) - - وفيات الأعيان، ابن خلكان دار الثقافة ط بيروت .
- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د إحسان عباس، دار صادر-بيروت.
- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر -بيروت (د. ط .ت).
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،لبنان-بيروت،ط8، 2005م.
- الحيوان، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي وأولاده القاهرة، ط2، 1965م.
-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة ،1955م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، دار الرشيد، 1981م.
- الصورة الأدبية في القران الكريم، صلاح الدين عبدالتواب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1995م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان .
- فنون النثر الأدبي في أثار لسان الدين بن الخطيب -المضامين والخصائص الأسلوبية -محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بنغازي، د.ت.
- التصوير الفني في القران، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، 1968م.
الشخصية في القصص القرآني، خالد سليمان، جامعة اليرموك ،1996م.
خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، مكتبة الهلال -بيروت،ط1، 1987م.
المنهج القرآني في الإعجاز العلمي، د. رعد شمس الدين الكيلاني، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية العدد28، 2008م.